

في هذا المهرجان رقصة « الكدرة » العجيبة، وهي رقصة تعتمد اساسا على ايقاعات موسيقية ذات اصول عربية ، ورقصة « احيدوس » ذات الايقاعات البربرية، ورقصة « كناوة » ذات الايقاعات الزنجية.

الصامتة ، الخ . كما كانت عروضه الراقصة تذكيا روح الحياة الشاملة في المغرب لما يبدو على المشاركين فيها من اتقان في حركاتهم اللطيفة ، ومن مميزات في البستهم الجبلية والقروية المنسجمة . ومن اهم الرقصات الفوكلورية التي احرزت النجاح الكبير

الرافضة الجديدة

كومو (ايطاليا) ، س جمال م. احمد :

« يحياي عظيم النعم
ينغمة البحر ،
يكفيه من دنياه تل ،
وبين يديه دنيا حافلة ،
ترجوه ان يختار .
- طوم غن

الرافضة الجديدة هي هذه الكثرة الكثيرة ، من اساتذة الجامعات في الولايات المتحدة ؛ شببا كان في العشرينات الباكورة من عمره، اخريات الحرب العالمية الثانية ، ورأى من شرور الحرب في اوربا ، وقد اسهمت الولايات المتحدة فيها اسهاما بعد بيرل هاربر . دخل الجامعات من بعد ، رجالا نضجا ، يرون بين الذي يدرسون من علوم وفنون ، وبين الذي خبروه في الميدان، صلة تتيح لهم الحوار العاقل مع اساتذتهم ، والجدال النير ، وخرجوا هم انفسهم اساتذة، يدرسون بعض الذي قرأوا وبعض الذي خبروه في الحياة ، وتخرجوا على ايام لا تشيع الطمأنينة في النفس : انتهت الحرب الكبيرة في المسرح العالمي كله ، وعقبها الحروب الصغيرة هنا وهناك في كل شطر من اشطار العالم . اذا لم تنه الضحايا الملايين في آسيا و اوربا ولم تنه هيروشيا الحروب ، كما زعم الزاعمون باءى بدء . كانوا في ثلاثينات عمرهم ايام كوريا ، يتحدثون في حجرات راحتهم في الجامعات عن المبعث فيها وعدم جدواها، وفي اربعيناتهم الباكورة الآن التقى نضج الرجولة فيهم ، بوضع سياسي لا يريح . دعوا للرئيس جونسون وعملوا من اجله ما يستطيعون ، كيلا

يتولى القيادة غولدووتر ، واذا بهم نهاية المطاف امام معضلة ما اتت في البال : جاؤوا بالرجلين معا ، كما يعبر بعضهم . يعنون انهم اتوا برجل حاذق ينقذ ما اعلن منافسه من سياسات مروعة . اتوا برجل كتوم قوي الشكيمة يقزم جنبه كل ذكي وكل قادر، ظله فوق كل مكان ، وشخصه كطوله وعرضه ، لا يقاوم . شاطر وقادر .

ما كان ممكنا ان تتلقى هذه الفئة الذكية من شباب الجامعات خيبتها هذه وهي راقدة كما يقولون . قاومت بكل سبيل فكري سياسات الادارة في فيتنام ، ونقلت المقاومة الى الجدل الجماعي مع قادة الادارة الحكومية في واشنطن ، تشهده ملايين الرجال والنساء ، لا في الجامعات وحدها بل على شاشة التلفزيون . جدال في كل جامعة ، عرف في النهاية بالتعليم الداخلي ، يشترك فيه المعلمون ليدفعوا الامريكان دفعا لمقاومة تلكم الحرب ، واشترك فيه قادة الادارة من اهل الفطن والمعرفة ، امثال بندي مستشار الرئيس لشؤون الامن، وقدم له من بريطانيا اساتذة فحول يرون رأي هذا الفريق من اساتذة الامريكان .

ما كان كبيرا عدد الرافضة الجديدة في الندوة التي اجتمعت في فيلا سربلوني ، على بحيرة كومو، شمالي ميلانو بايطاليا . كان عددا صغيرا ، اكثره من جامعة هارفرد ، الجامعة التي تشرف على الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون، التي دعت لهذه الندوة، بعون من منظمة حرية الثقافة ، ليتفاكر علماء الاجتماع وعلماء الطبيعيات وعلماء الاقتصاد في حال الدنيا - كما نغمر نحن - ليدبروا بينهم الرأي ، في الذي ينبغي ان يعمل ليسود في العالم نظام ، وقد

فقد الحصان الرسن . ساعدوا للرافضة الجديدة بعد حين ، واحب ان اقف قليلا هنا ، لآتحدث عن المجتمعين في الندوة ، وعن فكرة الندوة .

كان المجتمعون ينتمون لفروع عدة من فروع المعرفة ، وقد قصدت الاكاديمية قصدا الى هذا ، فما تيسر من قبل للمختصين في الفروع العدة من المعرفة ان يناقشوا امرا ذا خطر . درجت الندوات العالمية على دعوة المعلمين الاقتصاديين مهندسي التخطيط وغيرهم ، ليدبروا الرأي من وجهة نظر ذلك الفرع الواحد من فروع المعرفة . يتكلم المجتمعون لغة واحدة بلحي لغة ذلك العلم او الفن الذي اليه ينتمون . وكانت ، من الذي رأيت انا على الاقل ، تجربة ناجحة هذه المرة . كان في الندوة علماء اجتمع يلقون على طلابهم محاضرات في المنظمات العالمية والشؤون الدولية ، وكان فيها علماء طبيعة يدرسون علم التوليد والكيمياء ، وكان فيها اقتصاديون يخططون لبلادهم النامية ، وكان فيها معلمو اقتصاد ومهندسو تخطيط . كان يوما طريفا ، ذلك اليوم الذي اقترح فيه طبيب في الندوة ، ان تعمل المنظمات الانسانية ، كالبرنسكو ومنظمة الصحة العالمية ومنظمة الغذاء وما من هذه بسبيل ، بمعزل عن المنظمات السياسية ، كالامم المتحدة . كان طريفا منطقة : ان هذه المنظمات تتأثر في اعمالها بالجدل السياسي ، وهي وحدها التي تقرب الشقة بين الانسان في المناطق المحتاجة والمناطق المكثفة . انها اقيم من اي برلمان عالمي ، ولذا ينبغي الحرص عليها ، ولا سبيل لهذا الا اذا عمل العلماء والخبراء في هذه المنظمات بعيدين عن قلق السياسة . نظرة ساذجة ، حين الخصها كهذا ، ولكن الطبيب الذي عرضها على الندوة كان مخلصا لها ، نافع عنها ، امام علماء الاجتماع ، صابحا باكملها ، يقول ان علماء الطبيعة ، عليهم ان يعملوا لاكاديمية علمية عالمية ، بعيدة عن قلق السياسة والساسة : اذا لمشي الانسان خطوات بعيدة نحو الكمال ، وقربت الشقة بين اطرافه الشعبي وتلك المتخمة .

ولنعد للرافضة الجديدة ، قبل ان نخفي في الحديث عن النقط التي شغلت بال اعضاء الندوة .

قلت انهم شباب ما عرف الاستقرار حياته ، فنظر للانسان نظرة متشائمة . كل الذي يستطيعه الانسان هو ان يحيا حياة العاجزين ، لانه صنع هكذا بعيدا بعيدا عن الكمال ، ما خلق ظلا لله على الارض كما يحسب . خلق جشعا انايا معتديا غليظا ونكدا ، الصدام والعنف غايتاه ، مجالس تشريعه لا تستطيع ان تخطط لشيء ذي اثر ، وان فعلت عجزت مجالس التنفيذ عن ان تنفذ ، ولو لم يكن الانسان انسانا على النحو الذي نعرف - قصير العمر ، قليل الحيلة - لتيسرت عمليات التخطيط الاقتصادي والتعليمي . تتأرجح هذه العمليات بين الفشل والنجاح ، لانها تريد ان تعالج الانسان ، وما في الطوق ان يعالج . سيظل هكذا يترنح ، حتى يخرب الحياة على الارض ، يوما ، وهو غافل او غاضب ؛ اكثر ما يستطيعه السياسيون هو ان يخففوا عن الانسان احزانه ، فهو في الحضيض واحزانه كثيرة . ولو لم يكن الانسان هكذا ضجرا ملولا عنيفا حاقدا ، لنجح روزفلت حين خطط للتعادل في بلاده ، فالانسان لا يهتدي بعقله ؛ تنتابه اعاصير نفسية في داخله ، تجتاحه ، سفينة في الحضم ، ربانها خائف . وعلى اية حال ، ما دخل الانسان في الحياة ؟ الم يقل واحد من الاولين انه جاء اعتباطا هذه الارض ، نتاج عملية طبيعية ، ما كان في ذهنها ان يكون الانسان ! فضولي .

قال اقتصادي في الندوة من هولندا : « هذه البدعة في بعض جامعات الولايات المتحدة تعني ، وتقض النفس ، ما غايتها ؟ » ثم علق على حديث كان قد ساقه مهندس من هؤلاء المتشائمين ، قال فيه ان التخطيط للمدن لا يعرف الاخلاقيات ، وان التخطيط الاقتصادي لا يمس جوهر الانسان ، اخلاقياته . قال الاقتصادي الهولندي ، مغيظا حانقا ، ان فكرة التقدم لا زالت معنا . لم تقض مع القرن التاسع عشر ، وقد اقترب الانسان بعضه من بعض ، وزادت حاجته للتكامل . اكتشف ان اكثره يولد للتعس والضنك وهو يسعى ليعين بعضه بعضا الآن ، كما سعى الخيرون داخل الاوطان المفردة . ضاقت قليلا الفجوة بين المواطنين في البلاد الصناعية ، وهي تضيق يوما بعد يوم ، وعلى الاقتصاديين في العالم ان يعملوا لتضييق الفجوة بين

المواطنين في البلاد الصناعية والمواطنين في البلاد
الاقبل حظا الآن . ينمو العالم بعون وكالات الامم
المتحدة ، وعون الإتفاقيات الثنائية ، ويهدف الى
ان يرتفع هذا النمو الاقتصادي الى سبعة في المائة في
البلاد قليلة الحظ من الثراء . « اننا نشقى ، نحن
الاقتصاديين ، ونخطط ، وما ذاك بالعمل الهين ،
فلشرح لنا علماء السياسة كيف يخططون . انه عمل
ناقص هذا الذي نعمله ، ولكنه سيقود في النهاية
لشيء من الوفرة والسعادة » . قال ما قال طومغن
حين نعى على « كاره البشر » رؤاه التي تأبى ان
تفارق اقدامه :

« ويسوح في صحت

يتوه عنده خضرته

يذوب عند سمرة ،

يبعث هنا

وهناك عن شبك

بعيدة .

ويضيع في غاب كيف

يوثقه .

تمشي على صخرات

كبرى تدمعه .

فرط الجراح

في ركبتيه .

لا يبني على الارض ابراجا

يراقب فوقها ،

يحيا كما تحيا الطيور

تقفز من ارض لارض

تنقر ،

راضيا عن حاله ، عن نفسه

ويستطيع الحفا وقتا

لا يرى

لا يرى .

ويظل يسمى مثلها

فوق الزمان الرامن ،

يبقى هناك على

جناح واقف ،

وقف الزمان .

لا يسه

لا يدعه ان يسه .

ويقظ بعض حين ،

اثر يحسه .

حجارة تتساقط حول جنبيه

فيذكر :

حرب تسمر ، لا تذمر

وحشية

اخذت عليه كل قطر منه

اختفت في صخبها

اصوات وجدانه

لا تعتمل .

لكن الرافضة الجديدة ، كالرافضة في تراثنا

القديم ، ذكية قوية النفس ، تعبر عن نفسها خير

تعبير ؛ كانت في الندوة بالمرصاد ، لكل من يرى

وأيا يعين هذا التفتت في الموقف الدولي والتنافر .

قال لورد غلادون غب ، وهو من تعرف دربة

وخبرة ، ان علاج هذا التفتت في الاقليمية ؛ وكان

منطقا قويا منطق : ان القومية ما زالت عنصرا

فاعلا في الشؤون الدولية ، وكان من حق التقدم على

الدول الصناعية ان تخفف كثيرا من اسرافها في

التمسك بالسيادة القومية ، فقد مارسه بعضها

اربعة قرون الآن ، ولم تجن من كبريائها هذه الا

الحروب ، والقومية في البلاد حديثة العهد بالاستقلال

عنصر نافع ، يدعو للتبسط ، فاكثر هذه الامم لم

تخرج من نزعاتها القبلية الا قبل قليل . كان الاوفق

ان تقل حدة السيادة القومية في اوربا ، فقد تكونت

امها ، وانتهت نزعاتها القبلية ، ولكننا نشاهد على

ايماننا هذه ، جنوحا اليها وتمسكا بها ، الامر الذي

يستحيل معه العمل الجماعي على الصعيد الانساني .

لنسر نحو وحدة الانسان اذاً ، سيرا خفيفا ،

ولنختار طريقا وسطى بين القومية الجامحة والعالمية

غير المستطاعة الآن . هذه الطريق الوسط هي

الاقليمية ، تلتئم دول اوربا الغربية ، فينبها

حضارة مشتركة وثقافة جامعة واقتصاد بقليل من

التخطيط متكامل ؛ وامريكا اللاتينية بين اقطارها

كثير يجمعها ؛ وبلاد الشرق العربي تعود سيرتها

الاولى ، فهو انفع لاقطارها وادعى للوفرة والقدرة -

ان ادرك اهله ان فردية العرب التاريخية لم يعد لها

مكان اليوم ، سعد افرادها يصنع من سفد اقليمها

الواحد ؛ وبلاد افريقيا المعديدة ، يجمع الذين

جميعهم وحدة في الشرق او في الغرب . هذه الوحدات الكبيرة ، اقرب الى ان تتعايش ، واقرب الى ان تعلم الانسان ان سيادته المحلية وحدها لا تقود لكثير ، بينا السیادات المشتركة هي طريق الحصب المادي والروحي . ان الحكومة العالمية حلم بعيد ، والامم المتحدة ما استطاعت حتى الآن ان تحقق كل الذي كان يرمي اليه الناس عقب الحرب ، فلنجرّب الاقليمية داخل اطارها الحالي ، لعلنا فصل الى نظام يستقر عنده الانسان . وعزز هذا الرأي جماع الذي قاله الاستاذ جفري عن الانسانية الجديدة ، ومكان الفكر والمفكرين في العالم المعاصر ، يخططون للتغيير ، فقد كان كل تغيير وقع حتى الآن ، اعتباطا ، وكل تقدم صدفة ؛ بقليل من التعاون بين مفكري العالم ، يستطيع الانسان ان يخطا لمستقبله .

انبرى لهذه الفكرة هوفمان ، قائد اورطة المثلاثين ، واكثرهم قدرة ، فقال ان الاقليمية ادعى الى التقاتل . عوض ان تحترق قوميتان عبر حدودهما تتجمع القوميات المتماثلة ، لتحارب بعضها بعضا . عوض الحرب عبر حدود صغيرة ، ثور الحرب عبر حدود عريضة . اما المفكرون فهم الذين - او اكثرهم - يدفعون بالانسان المعاصر حتى الهاوية ، يعودون به وقد رأى الهلاك بعينه ، للتغلب والتدبر . المفكرون لا يعنون الا بمقدار . اكثرهم يسير سير السلطة القائمة ، ينفخ في روحها ، يبرر اعمالها ، يجرق البخور لها ، والقلّة القليلة هي التي تسعى لصنع نظام يحفظ للانسان امه .

لكن الندوة سارت سيرتها الوسط ، لا متشائمة كما اراد لها الرافضة ، ولا ساذجة كما اراد لها واحد او اثنان ، ممن يضيّقون بالخلل الذي يعيشه العالم اليوم ، فيقترحون ان « تصنع الثقافة » وان تقوم « جمهورية العلماء » وما الى ذلك من سنل . سار طريق المعتدلين امثال تنبرج عالم الاقتصاد من هولندا وطريق جفريبي عالم الاجتماع من البرازيل وطريق نكول مدير جامعة فريتون الذي هرّ مشاعر الناس وهو يقول : « ولدت في حضارة وريت في اخرى » ، يقصد ان يقول انه ولد في حضارة افريقية خالصة وتعلم في حضارة اوروبية مغارة . قال اكثر هؤلاء (وارجو ان يخرج كتاب الندوة ، وفيه اكثر الذي

قيل) ان التوازن الذي بين قوتي العالم الكبيرتين قد حفظ السلم حتى الآن ، ولكنه توازن هش غير بعيد ان يتخلل بفعل معتوه او بصدفة ، توازن لا يدعو للاطمئنان . لا معدى اذاً من نظام عالمي ، وان كان صعبا الوصول اليه . استعرضت في هذه السبيل آراء عدة - تقوية الامم المتحدة ، تشجيع الوحدات الاقليمية ، العمل على حكومة للعالم كنفدرالية . وتحدثت الندوة طويلا عن هدف كبير للانسان ، تجتمع حوله البشرية ، وقيل ان الهدف ينبغي ان يكون تحسين حال الانسان المادية ، فهو في اكثر اقطاره جائع مريض جاهل . وتحدثت الندوة طويلا عن جنوح الدول الصغيرة للكبرياء المفرطة ، وكان بن بيللا تلّم الايام واحدا من المرموقين ، ونقل عنه المتحدثون في الندوة قولته الشهيرة : لن نفرط في عزتنا وان ربطنا البطون جوعا ، او كما قال .

كان اسبوعا مليئا بالنشاط الذهني ، قاده رمون ارون قيادة حية نشطة ، وراعني هذا الخنو عليه والود من زملائه ، فقد بلغ هذا المفكر الاجتماعي الكبير عامه الستين منذ شهور وهو ما يفتأ يلقي محاضراته على طلاب علمه الكثيرين في السوربون ، ويكتب مقالته الاسبوعي الشهير في « لوند » ، ويخرج كل عامين او ثلاثة كتابا تشغل اوربا نفسها به ، عدا مقالاته التي يكتبها من حين لحن في كبريات الصحف العالمية ، كان آخرها مقاله عن فكر سارتر في « الانكاوتنر » ، حين بلغ هو الآخر الستين ، وكانت بينها على عهدهما الاول صداقة عذبة طوحت بها السياسة حيناً طويلا ، واعادتها جريئة منذ سنين قليلة ، وقد كبرت السن ، واستوى اليمين واليسار عندهما ، لا يريان مذهبا الآن ، بل يريان حياة واقعة عمل كلاهما قليلا في صنعها على النحو الذي هي عليه الآن ، بالذي علماه والذي كتبه عبر السنين . اضاف للندوة كثيرا من هذه الحيوية الذهنية ، واطفى عليه الحاضرون كثيرا من اعجابهم بما انجز حتى الآن ، وبما يعمل اليوم ، وقد استوى - كما قلت - عنده اليسار واليمين ، كل يسرف في الذي يرى وقد انتهى عهد الرؤى الآن وحل عهد الوقائع . لا تشبه واحدة اختها ، ولا سبيل للقياس . السبيل للاجتهد .